

## 52893 - ابنها يقع في الفاحشة ، فهل تحاسب على أفعاله ؟

### السؤال

يبلغ ابني من العمر 15 عاما ، وقد ولد في أمريكا ونشأ فيها . ابني له صديقات ، وقد اكتشفت مؤخرا أنه يمارس الجنس مع إحداهن . وأناأشعر بالذنب ، لكنني لا أعرف كيف أتصرف . هل سيعاقبني الله جراء تصرفاته ؟.

### الإجابة المفصلة

ليس أعظم من المصيبة في الدين ؛ فهي المصيبة حقا ، نسأل الله السلامة منها ، وليس أكرم على الإنسان - بعد نفسه - من ولده ؛ فبهم سرور القلب وقرة العين ، قال الله تعالى:

(وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَرْوَاحِنَا وَدُرِّيَاتِنَا قُرَّةً أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلنُّتَقِينَ إِمَاماً) الفرقان/74 ، لكن القلب لا يُسرُّ ، والعين لا تقر إلا بذرية صالحة ، طائعة لله ؛ قال الحسن البصري : (هي والله أن يُرِي الله العبد من زوجته ، من أخيه ، من حميمه طاعة الله ، لا والله ما شيء أحب من أن يرى ولدا ، أو والدا ، أو حميما ، أو أخا مطينا لله عز وجل ) تحفة المودود لابن القيم ص 424

ولا شك أن أعظم ما يُسأَل عنه الوالدان من حفظ أبنائهم ورعايتهم ، تربيتهم على طاعة الله تعالى ، وطردهم عن معصيته ؛ قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا فُوَّا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيْكُمْ نَاراً) التحرير/6 ، قال مجاهد وغيره من السلف : أَوْضُوا أَهْلِيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَأَدْبُوْهُمْ ، وقال قتادة : مُرْوُهُمْ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَأَنْهَوْهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِه .

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (كُلُّكُمْ رَاعٍ فَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى الْثَّالِسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةُ عَنْهُمْ ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَا لِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ) البخاري 2554 ومسلم 1829.

فقد دل هذا الحديث على أنَّ المَكْلُفَ يُؤَاخِذُ بِالثَّقْصِيرِ فِي أَمْرٍ مَنْ هُوَ فِي حُكْمِهِ ، وتحت رعايته .

وقد نص الحديث على دخول الوالدين في هذا الأصل العام : (وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةُ عَنْهُمْ)

فالوالدان مسئولان عن أبنائهم ، لأنَّهَا أُمَّا أَنْ يَخْرِصَا عَلَى وَقَاتِيْهِمْ مِنَ النَّارِ ، وَأَمْتَشَّالُ أَوْامِرَ اللَّهِ ، وَاجْتِنَابُ مَنَاهِيهِ . فإذا قام الوالدان بما يجب عليهما من تربية أولادهما الصحيحة ولم يقصرا في ذلك ، فإنه لا إثم عليهما في هذه الحال إذا انحرف أولادهما . قال الله تعالى : (وَلَا تَزِرْ وَازْرَةٌ وِزْرَ أَخْرَى) الأنعام/164

وإذا كان كل أحد يفهم من الشرع ، وبديهية عقله ، أنه إن فرط في واجب الأدب والتربية نحو أولاده ، فإنه مسئول عما وقعوا فيه من انحراف ، فإن مسئولية الأسرة التي تعيش في الغرب نحو ابنائها مسئولية من لون آخر ، هي أعظم من ذلك كله ؛ إنها مسئولية من أقوى ثمرة فؤاده في اليم ، مكتوفا !! .

وفي حالة ولدكما ، ومثلها كثير ، كان ينبغي سد أبواب الفتنة قبل أن تستفحـل وتشتعل نارها ؛ فليس في الإسلام علاقة صداقة بين رجل وامرأة أجنبية عنه ، لاسيما في هذه المرحلة الخطيرة من عمر ابنكمـا .

لكن السؤال الأهم ، الآن ، فعلا هو : كيف نتصـرف ؟

إن عليـكما ، أنت وأبـوه ، أن تحـيلا بكل حـيلة سـريعة لـبعـاد ولـدكـما عن هـذه العـلاقـات الـآثـمة ، وقطع عـلاقـاته بالـنسـاء الـأجـنبـيات ، حتى ولو تـحققـتمـا منـ أـنـ هـذـهـ الـعـلاقـةـ لمـ تـصـلـ إـلـىـ أـوـحـالـ الزـنـاـ ؛ فـقـدـ ذـكـرـنـاـ أـنـ أـصـلـ هـذـهـ الـعـلاقـةـ مـرـفـوضـ فيـ الشـرـعـ .

وقد يكون من أهم الوسائل لـبعـادـهـ عنـ تـلـكـ العـلاـقاتـ المـحرـمةـ التـعـجـيلـ فيـ تـحـصـيـنـهـ بـالـزـوـاجـ ، ولـذـكـرـ النـبـيـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ )ـ يـاـ مـعـشـرـ السـبـابـ مـنـ اـسـتـطـاعـ مـنـكـمـ الـبـاءـةـ فـلـيـتـرـوـجـ وـمـنـ لـمـ يـسـتـطـعـ فـعـلـيـهـ بـالـصـوـمـ فـإـنـهـ لـهـ وـجـاءـ(ـ مـتـفـقـ عـلـيـهـ الـبـاءـةـ أـيـ : تـكـالـيفـ الزـوـاجـ .

وـمـعـنىـ وجـاءـ أـيـ : وـقـاـيـةـ مـنـ الـوقـوـعـ فـيـ الـإـثـمـ .

لـكـنـكـماـ تـعـلـمـانـ أـنـ إـبـعـادـ الشـابـ عنـ تـلـكـ العـلاـقاتـ المـحرـمةـ لـيـسـ بـالـأـمـرـ السـهـلـ ، بلـ تـكـادـ هـذـهـ الـمـهـمـةـ تـكـونـ مـسـتـحـيـلـةـ فـيـ الـبـلـادـ الـتـيـ تـعـيـشـونـ فـيـهـاـ ؛ فـإـنـ الـمـحـضـ الـغـرـبـيـ الـذـيـ تـنـمـوـ فـيـهـ قـلـوبـ هـذـهـ الـذـرـيـةـ وـعـقـولـهـاـ ، مـلـوـثـ بـكـلـ لـوـنـ فـتـنـ الشـبـهـاتـ وـالـشـهـوـاتـ ، تـلـكـ الـفـتـنـ الـتـيـ أـحـالـتـ ، الـجـيلـ الثـانـيـ وـالـثـالـثـ مـنـ أـبـنـاءـ الـمـسـلـمـينـ هـنـاكـ ، إـلـىـ أـجـيـالـ تـتـفـلـتـ يـوـمـ بـعـدـ يـوـمـ مـنـ شـعـائـرـ الـإـسـلـامـ وـشـرـائـعـهـ ، وـتـتـشـرـبـ بـدـلـاـ مـنـهـاـ قـيـمـ الـغـرـبـ وـأـخـلـاقـهـ ، حـتـىـ لـاـ يـكـادـ يـقـنـعـ لـهـاـ فـيـ نـهـاـيـةـ الـأـمـرـ إـلـاـ "ـ بـرـكـةـ"ـ النـسـبـ !!

فيـعودـ السـؤـالـ إـلـيـكـمـ مـرـةـ ثـانـيـةـ : هلـ عـنـدـكـمـ مـنـ القـوـةـ فـيـ أـمـرـ اللـهـ ، وـالـخـوـفـ مـنـ إـضـاعـةـ الـأـمـانـةـ نـحـوـ نـفـسـيـكـمـ أـوـلـاـ ، ثـمـ نـحـوـ ذـرـيـتـكـمـ ثـانـيـاـ ، وـالـرـغـبـةـ فـيـ إـصـالـحـ مـاـ فـاتـ ، هلـ عـنـدـكـمـ مـنـ ذـلـكـ كـلـ ماـ يـدـفـعـكـمـ لـلتـضـحـيـةـ بـمـتـاعـ الدـنـيـاـ وـزـيـنـتـهـ فـيـ بـلـادـ الـغـرـبـ ، وـالـعـودـةـ بـأـبـنـائـكـمـ إـلـىـ بـلـدـكـمـ ، أـوـ إـلـىـ حـيـثـ تـكـوـنـونـ أـكـثـرـ أـمـنـاـ عـلـىـ دـيـنـكـمـ ، قـبـلـ أـنـ يـفـوتـ الـأـوـانـ ، وـيـأـتـيـ الـمـوـتـ عـلـىـ هـذـهـ الـحـالـ ؛ فـيـقـولـ قـائـلـ : (ـ رـبـ اـزـجـعـونـ (99) لـعـلـيـ أـعـمـلـ صـالـحـاـ فـيـمـاـ تـرـكـتـ كـلـاـ إـنـهـاـ كـلـمـةـ هـوـ قـائـلـهـاـ وـمـنـ وـرـائـهـمـ بـرـزـخـ إـلـىـ يـوـمـ يـبـعـثـونـ (100) )ـ الـمـؤـمـنـونـ 99-100ـ ، وـقـبـلـ أـنـ نـرـىـ تـأـوـيـلـ مـاـ فـعـلـنـاـ ؛ أـيـ : عـاقـبـتـهـ : (ـ يـوـمـ يـأـتـيـ تـأـوـيـلـهـ يـقـولـ الـذـيـنـ نـسـوـهـ مـنـ قـبـلـ قـدـ جـاءـتـ رـسـلـ رـبـنـاـ بـالـحـقـ فـهـلـ لـنـاـ مـنـ شـفـاعـةـ فـيـشـفـعـوـنـ لـنـاـ أـوـ نـرـدـ فـتـعـمـلـ غـيـرـ الـذـيـ كـلـاـ نـعـمـلـ قـدـ خـسـرـوـاـ أـنـفـسـهـمـ وـضـلـلـ عـنـهـمـ مـاـ كـانـوـاـ يـفـتـرـوـنـ (ـ الـأـعـرـافـ 99ـ ؟ـ

أـمـ إـنـ الـمـسـؤـلـيـةـ لـاـ تـسـتـحـقـ هـذـهـ التـضـحـيـةـ ؟ـ

وـقـدـ تـقـوـلـونـ : إـنـ أـكـثـرـ بـلـادـ الـمـسـلـمـينـ الـيـوـمـ يـعـجـ بـالـفـتـنـ وـالـمـنـكـراتـ ، فـلـنـ تـتـوـفـرـ لـنـاـ الـبـيـئـةـ الصـالـحةـ لـتـنـشـيـةـ الـذـرـيـةـ عـلـىـ الـشـرـعـ النـقـيـ ، فـمـاـ الـفـائـدـةـ مـنـ هـذـهـ النـقـلـةـ ؟ـ

فيقال : نعم ، وأنتم محقون إلى حد كبير ، لكن إذا لم نستطع جلب الخير كله ، فلنكتب أقصى ما نستطيع منه ، وإذا لم يمكن دفع الشر كله ، فلندفع أقصى ما يمكننا منه ، وبعض الشر أهون من بعض !!

والامر فقط يحتاج إلى صدق مع النفس ، وصدق الله العظيم : (بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ . وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ ) القيامة/14-15

والله يوفقنا وإياكم إلى ما يحب ويرضى .